عن كلّ ما لم تنعقد عليه العزائم، ولا قاربته الظنون أو طاف بالأخلاد[84]، أفصح الخبء، وارتفعت الستار. الليالي ولدن العجائب الغرائب، فإذا النتائج تجيئ على خلاف المقدّمات، وإذا الأولاد والآباء نقائض وأضداد. فكيف تغيّر المنتظر؟ من جذب الطريق من تحت الأقدام؟ ماذا نكس المسار؟ ما الذي عكس التيار؟ ما لهذه المرأة التي سعت بروح صاف ونيّة نقية، لتعطير الكعبة ـ تقديساً وإجلالاً ومحبّةً ـ قد تحوّل العطر في يديها إلى جمر، ونفح الطيب إلى سورة[85] لهيب، وكأنّها إنّما سعت سعيها لتحرق وتدمّر، لا لتبخّر وتعطّر؟! ما لهذا السحاب الذي أقلع إلى أرض قفر ليكون بشيراً بالخير، لا يكاد الودْق[86]ينزل من خلاله، يهمّ أن يروي غلّتها، وينضّر وجه رملها الأصفر، حتّى يؤمر فيحتبس زمناً على الجبل، ثم يؤذن، من بعد، للجبل فيرسله سيلاً يدفق فيغرق، ويزحف فيجرف؟ ما لتلك السفينة تبحر من مصر إلى غرضها، حتّى إذا أوشكت أن تقارب مرساها بأرض النجاشي، تبدل أمنها خوفاً، وسلامها تلفاً، فإذا الريح تزمجر وتقصف[87]. وإذا الموج يهدر ويعصف[88]. وإذا بها، وبما فيها، ومن فيها، قد قذف اليمّ بهم جميعاً بين